

أهم الحواضر والمدن والبوادي المشكلة لبايك الغرب الجزائري
The most important cities, cities and valleys forming the
Beylik of western Algeria

د. إبراهيم مجاهدي

D. Brahim Medjahdi

جامعة تلمسان (الجزائر)، brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2025/..10/17 تاريخ القبول: 2025/..11/13 تاريخ النشر: 2025/12../20

ملخص

اشتركت مختلف التجمّعات السكنية -بنوعها الحضري المتمثل في المدن والريف المكوّن من القرى- ضمن نطاق باييك الغرب الجزائري في كونها إمّا محصورة بين سلاسل جبلية محصّنة بشرط توفّر مصادر المياه أو محاذية للسواحل. كما تقاسمت دورا اقتصاديا تجاريا متمثل في كونها مصدر لمختلف المنتجات الزراعيّة والحيوانية والصناعات الحرفية المحليّة، ولا شك أنّ الكثير من المدن والبوادي لعبت دورا دينيا أو سياسيا أو اقتصاديا خلال فترة التواجد العثماني بالغرب الجزائري. الكلمات المفتاحية: الحاضرة؛ البادية؛ باييك الغرب؛ المدينة، الفترة العثمانية.

Abstract

The various residential communities - both urban, represented by cities, and rural, consisting of villages - within the Beylik region of western Algeria shared the fact that they were either confined between fortified mountain ranges, provided that water sources were available, or adjacent to the coast.

It also shared an economic and commercial role, represented by being a source of various agricultural and animal products and local craft industries. There is no doubt that many cities and deserts played a religious, political, or economic role during the period of the Ottoman presence in western Algeria

Keywords: metropolis; Badia; Beylik of the West; Medina, Ottoman period

مقدمة

اشتركت مختلف التّجمّعات السّكنية -بنوعها الحضري المتمثّل في المدن والرّيفي المكوّن من القرى- ضمن نطاق بايلك الغرب الجزائري في كونها إمّا:

- محصورة بين سلاسل جبلية محصّنة بشرط توقّر مصادر المياه كمعسكر وتلمسان ومازونة وإقليم فليطة وقرى شرفاء غريس ومداشر السارسو وتسالة.
- أو محاذية للسواحل كما هو الحال بالنّسبة لوهراّن ومستغانم وتنس وباديتا ولهاصة وترارة، كما تقاسمت دورا اقتصاديا تجاريا متمثّل في كونها مصدر لمختلف المنتجات الرّزّاعية والحيوانية والصّناعات الحرفية المحليّة، ولا شك أنّ الكثير من المدن والبوادي لعبت دورا دينيا أو سياسيا أو اقتصاديا خلال فترة التّواجد العثماني بالغرب الجزائري.

هذا وقد حصرتها الأستاذة ف. الواليش في خمس مدن ذات عمق وامتداد تاريخيين هي: مازونة وتلمسان ومعسكر وندرومة ومستغانم، وبذلك تكون قد استثنت العديد من التّجمّعات السّكنية الهامة خلال الفترة العثمانية كبلادة الكرط وقلعة بني راشد وقصبة تنس والأهم من ذلك كلّه وهران حتّى لو أخذنا بالاعتبار الأساسي لاختيارها المتمثّل في احتوائها على موروث حضاري تاريخي ذات بعد عربي سابق لزمان العثمانيين، ثمّ إنّ الدّافع الآخر الذي أبرزته لاختيار هذه المدن المتمثّل في حركيتها ونشاطاتها التجارية والصّناعية والعلمية واستمراريتها زمن العثمانيين لا يبدو منطقيا فقد افتقدته على الأقل تلمسان حسب ما اتفق عليه جلّ المؤرّخين والباحثين في الشّأن العثماني.

1. تلمسان وناحيتها

تقع تلمسان في اقصى الجهة الغربية للبايلك على الحدود مع مملكة بني وطاس قبل أن يخلفهم العلويين، ولم تقتصر الجهود المعمارية فيها على المدينة وحدها بل تجاوزتها لتصل إلى الأرياف المحيطة أو القريبة منها.

1.1. تلمسان: القاعدة التاريخية والحاضرة الثقافية والعلمية على مرّ العصور الإسلامية، تقع أقصى غرب البابلك على الحدود الغربية للإيالة مع بني وطّاس ثمّ العلويين من بعدهم، ولا شكّ من أنّ شهرة تلمسان قد تجاوزت حدود الإيالة، رغم كلّ هذا إلّا أنّ حاضرة تلمسان وعاصمة الزّيانين لم تحظى بذلك الاهتمام المقبول من الجانب العثماني، ولعلّ هذا الأمر هو الدّليّ دفع بحمدان خوجة إلى القول بأنّ معسكر -خلال الفترة العثمانية- أكثر تقدّما من تلمسان رغم أنّ هذه الأخيرة ما زالت أكبر قيمة منها¹.

اختارت الأستاذة ف. الواليش منحنى معاكس لهذا حيث ذهبت أنّ تلمسان خلال الحكم العثماني بالجزائر حافظت على ثقلها الحضاري وبقيت قطبا تجاريا نظير ما وجد بها من أسواق ومراكز تجارية، وصناعيا مقابل ما وجد به من أرباب الصناعات، وعلميا إذا انتهينا لنشاط مختلف منشآتها الديّنية².

وقد عبّر الرحالة محمد المكناسي سنة 1785م عن الأحوال في تلمسان عند مروره بها قائلا: "ومدينة تلمسان هي مدينة كثيرة مشهورة...إلا أن الخراب استولى على كثير من أطر افها..."³.

ما يلفت الانتباه من خلال أطلّاعنا لعدد البحوث والدّراسات التي ركّزت على مكانة وأحوال تلمسان خلال الفترة العثمانية أنّ الحكام العثمانيين اهتموا بعمارة الضّواحي والأرياف أكثر من اهتمامهم بمدينة تلمسان في حد ذاتها إذا استثنينا بعض المنشآت

¹ حمدان خوجة، المرأة، تق وتغ وتغ: محمد العربي الزبيري، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص97.

² الواليش فتيحة، الحياة الحضريّة في بابلك الغرب خلال القرن الثامن عشر، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التّاريخ الحديث، معهد التّاريخ، جامعة الجزائر، 1994م، ص47.

³ محمد بن عبد الوهاب المكناسي، إحرّاز المعلن والرّقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، تح: محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2003م، ص331. ويُسمّى أيضا: رحلة المكناسي.

القليلة بها كبناء مسجدي سيدي اليّدون ولالة روية⁴ وترميم ضريح سيدي بومدين وإصلاح سقف مدرسته، مقابل بناء ضريحا سيدي عبد الرحمان اليعقوبي وسيدي قندوز ومسجده بريف ترارة، وأضرحة آل سليمان الإدريسي بعين الحوت وصيانة ضريح سيدي يعقوب بولهاصة وغيرها.

2.1. ساحل تلمسان: برزت العديد من المدن والبوادي المتفرقة شمال تلمسان -قريبا من الساحل- خلال الفترة العثمانية في شتى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

أ. ندرومة: لعلّ أبرز مدينة ضمن هذا المجال هي ندرومة قلب منطقة ترارة⁵، فقد أشار بريننت (Prenant) إلى تفوّقها على العديد من المناطق المجاورة لها مستشهدا بما ذكره الحسن الوزان عن وضعها العام خلال العهد العثماني: "إنّها عاصمة صغيرة، شبه مستقلة غنية في المجال الحرفي تابعة تجاريا لتلمسان"⁶، وما يمكن الإشارة

⁴ نقلت الأستاذة دحماني صبرينة عن الأستاذ عمرو الطّمّار أنّ مسجد المشور الذي بناه السلطان الزيّاني أبو حمو موسى الأول هو الآخر قد تمّ تجديده خلال الفترة العثمانية، ولا أدري على أيّ مصدر اعتمد الأستاذ دحدوح عبد القادر حين ذكر أنّ مسجدا سيدي زكري وسيدي البناء بتلمسان يعودان للفترة العثمانية إلّا أنّ ترجيحه لذلك من خلال تخطيطهما المعماري وطرّاز تسقيفهما يبدو كافيا لتبرير ذلك. انظر: دحماني صبرينة، دمج المباني الأثرية المرممة في الحياة الاجتماعية بمدينة تلمسان، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، مج 08، ع 11، 2012م، ص 178. وانظر أيضا: عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2010م، ص 494.

⁵ يرى الأستاذ محمد رابح فيسة أنّ مصطلح ترارة – أو ترارا أو طرارة- على السلسلة الجبلية المحصورة بين البحر المتوسط شمالا ووادي تافنة جنوبا كما ذكر مارمول كبرخال. انظر: كاريخال مارمول، إفريقيا، تح: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م، ص 352.

René Basset, *Nedroma Et Les Traras*, leroux, Paris, 1901g, p65.

وحاليا يطلق مصطلح ترارة – أو ترارا أو طرارة- على السلسلة الجبلية المحصورة بين البحر المتوسط شمالا ووادي تافنة جنوبا كما ذكر مارمول كبرخال. انظر: كاريخال مارمول، إفريقيا، تح: محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف، الرباط، 1984م، ص 352.

ننوّه أنّه يوجد نسخة مشابهة تماما لهذه النسخة شكلا ومضمونا تحمل ناشر وسنة آخرين هما: دار نشر المعرفة، الرباط، 1989م. لا أدري إن كان هناك خطأ مطبعي أو أنّهما دار نشر واحدة تمّ تحوّل اسمها فيما بعد.

⁶ Prenant Thumeelin, *Nédroma* 1954, Revue Association Algerian Geographical A AG, N°04, 1967g, p23.

إليه في هذه الفترة بالذات هو الصّراع الثلاثي الذي كان حاصلًا بين القوى الثلاث العثمانيين والإسبان والعلويين ورغبة كل واحد منهم في السيطرة على إقليم ندرومة، إلى غاية المعاهدة التي وقعت بين قبائل ترارة وبني سنوس ومطغرة تحت إشراف سيدي عبد الرحمان اليعقوبي⁷، والرّامية إلى محاربة الإسبان الصّليبيين.

في نفس السّياق تحدّث الأستاذ رابح فيسة عن الحالة العامة لمدينة ندرومة انطلاقًا ممّا تعرض له الأستاذ ط. زرهوني في مقاله عنها بداية من تجاذب الإسبان والجيش التركي لها، مرورًا بتجاوزات هذا الأخير فيها إلى حين سيطرته عليها تحت إمرة عمر آغا، وصولًا إلى مشاركة أهالي ندرومة مع العثمانيين في صدّ العدوان العلوي المغربي والمساهمة في دخول الأتراك إلى وجدة⁸.

بالرّغم من تعريج الأستاذ رابح فيسة على عدد من المساجد الجامعة ومساجد الأحياء المنشأة خلال فترة المرابطين بندرومة إلّا أنّه لم يذكر تدخل العثمانيين فيها فيما بعد سواء ترميمًا أو صيانة أو تجديدًا، وربّما يؤكد هذا الطّرح الداعم لعدم اهتمام العثمانيين بترميم المساجد بندرومة أو عدم وقوع ذلك في فترة حكمهم ما ذكره شارل دي موبري (Charles de Mauprix) الذي زار ندرومة في 1888م عن مسجد القدارين: "...ويضاف إليه-يقصد المسجد الكبير- جامع أقل مساحة بطابع عمراني عتيق بأبوابه، وأقواسه العلوية مدبّبة الحواس ولسوء الحظ أصبحت تنهار وهو مسجد القدارين المتواجد في شارع صنّاع الفخار"⁹، لكن هذا لا يمنع إمكانية بناء

وانظر أيضًا: منصورية قدور، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعاشر الهجرية 633هـ-1236م/962هـ-1554م، مذكرة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، شعبة التاريخ، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012م، ص25.

⁷ منصورية قدور، المرجع السابق، ص26.

⁸ محمد رابح فيسة، المرجع السابق، ص24. وانظر أيضًا: الطاهر زرهوني، ندرومة بين الماضي والحاضر، مجلة الثقافة، العدد99، الجزائر، 1978م، ص14.

⁹ Charles de Mauprix, *Six mois chez les Traras*, le tour du monde, librairie Hachette, Londres, 1889g, p383.

عدد من المنشآت الدينية بندرومة أو نواحيها طيلة الفترة العثمانية الممتدة لثلاثة قرون، ويرجع السبب الأول في عدم بقاء هذه العماثر حسب ش. دي موبري إلى العقلية التي ميّزت الإنسان الترابي بصفة عامة المتمثلة في تفضيله العيش بمفرده بعيدا عن من يجاوره، وعدم إنشاء مساكن متجمعة في مجال واحد بل جعلها متفرقة محاطة بالصّبار -ربما يقصد التين الشوكي- الذي يخفيهم عن الأنظار وتبدو من خلاله قراهم كأنها بساكنين وليس تجمّعات سكنية¹⁰، فهذا النمط من العيش ربّما هو من حتم عدم بقاء المنشآت الدينية المشيدة خلال الفترة العثمانية بريف ندرومة في أفضل أحوالها. يتبيّن لنا صحّة الاحتمال المقدم سابقا بخصوص وجود مساجد أخرى بندرومة فيما راح إليه جوزيف كنال (Joseph Canal) حين عدّها 10 مساجد بالمسجد الجامع في مدينة ندرومة، وأضاف روني باسي إليها 108 مسجدا وكتّابا وزاوية¹¹ متفرقة عبر إقليم منطقة ندرومة¹²، ولكن كنال يتوافق مع ما يعتقده ش. دوموبري وم. ر. فيسة فيما يخص الوضعية التي آلت إليها كبرى المنشآت الدينية بندرومة أواخر العهد العثماني إذ يتأسف قائلا: "الذوق السيئ في كيفية طلائه بالجير الأبيض -يقصد الجامع المرابطي- الذي أفقده كل معيار فني، وكل زينة جمالية"¹³، وهذا ما يعطينا انطبعا عاما عن عدم الاهتمام بالمنشآت الدينية بندرومة خلال الحكم العثماني.

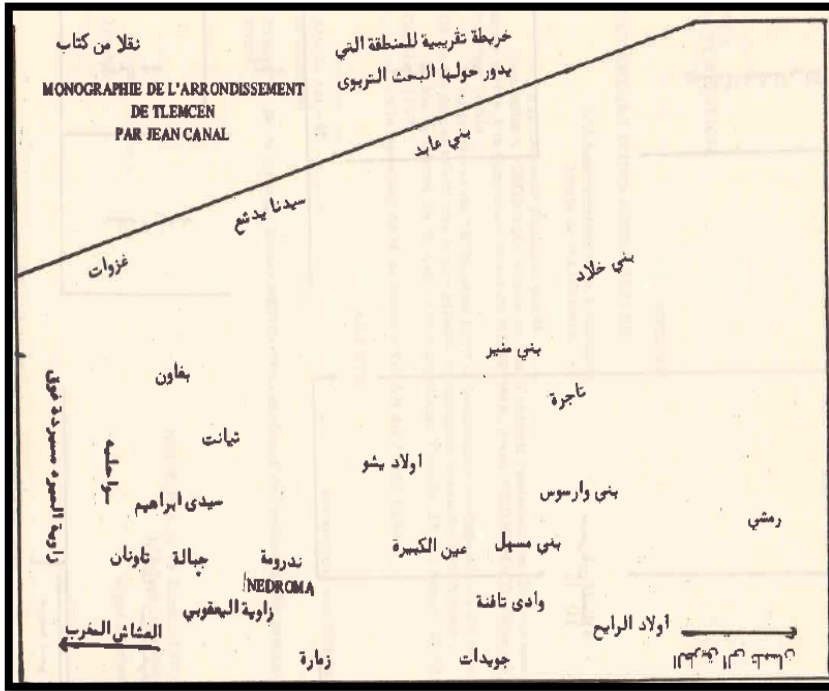
خارطة رقم 01: منطقة ندرومة وأرياضها أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

¹⁰ Ibid, p369.

¹¹ Ibid, p68.

¹² قام الأستاذ عبد الرحمان الطّالب بتقسيم المنشآت الدينية من مساجد وكتاتيب وزوايا بإقليم ندرومة باعتبار مناطق تواجدتها إلى: 10 بمركز مدينة ندرومة، 13 بمناطق توزع قبائل السواحلية، 03 بزاوية الميرة، 06 بجبال، 07 بمسيفة، 07 بالعيون، 02 بزاوية اليعقوبي، 04 ببني منير، 09 بأولاد سيدهم، 06 بأولاد حسنة، 05 ببني شعبان، 07 بأولاد يشو، 12 ببني مسهل، 10 بالسوامرية، 13 ببني خلاد، 04 ببني عابد، أي ما مجموعه 118 عمارة دينية موجودة قبل 1880 م. انظر: عبد الرحمان بن أحمد التّيجاني الطالب، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977 م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983 م، ص19.

¹³ Joseph Canal, *monographie de l'arrondissement de Tlemcen*, Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran, N°09, 1888g, p82.



المصدر: نقلا عن عبد الرحمان الطالب¹⁴.

ب. قصبة تيانث وحصن تاونت (جماعة الغزوات): لم تخرج منطقة الغزوات عن الأحداث التي وقعت على طول الشريط الساحلي للدولة الزيانية بداية من تعرضها للتحرّشات الصليبية الإسبانية وصولاً إلى تبعيتها للحكم العثماني ببايالة الجزائر، أشار لابدور (F. Llabador) إلى ذلك بقوله: "سكان تاونت من أجناس مختلفة، فهم يتألفون من البربر، العرب، الأندلسيين المطرودين من قبل الإسبانين، ومن الأتراك..."¹⁵، كما يشير لابدور إلى وجود عدد من المدافع التي تعود للفترة العثمانية

¹⁴ عبد الرحمان بن أحمد التيجاني الطالب، المرجع السابق، ص 103.

¹⁵ Francis Llabador, Nemours (Djemâa- Ghazaouet) : Monographie illustrée, la Typo-Litho et Cârbonal, ALGER, 1948g, p189.

قرب بلدة سيدنا يوشع وهي شبيهة بالمدفع الذي عثر عليه سنة 1933م يعود للقرن 17م.¹⁶

يقع حصن تاونت والذي أطلق عليه خلال الفترة العثمانية جماعة الغزوات -كما أشارت إليه كل من ي. أمال وكريمة. ع- والمعروف لدى العامة بلالة غزوانة في هضبة على الحافة الشرقية المطلّة على مدينة الغزوات¹⁷، كل هذه المعطيات التاريخية والشواهد الأثرية تذهب إلى كون المنطقة قد عاشت فترة من النشاط البحري الجهادي ومن الواقع المعماري خلال الفترة العثمانية، وهذا ما أكّدته العمائر الدينية المنشأة بهذا المجال خلال هذه الفترة.

ت. بادية ولهافة: لم تنعم منطقة ولهافة خلال أواخر الفترة الزيانية بالهدوء، فبرز عدّة مرابطين كما كانوا يسمون لحماية الثغور الإسلامية من الاعتداءات الصليبية، وهذا بأعالي القمم المطلّة على السواحل ومن أمثلة ذلك سيدي رحمون وسيدي محمد المدني وسيدي أحمد الورداني وآخرون.

تأرجح الحكم بالمنطقة خلال هذه الفترة بالذات بين عدة دول، فقد دخلت في حكم الحفصيين بعدما غزى أبو عمرو الحفصي تلمسان سنة 1466م في المرة الأولى، ثم ثانيا عام 1505م، ثم الإسبان عام 1509م كما وضعنا سابقا، ثم انطوت تحت حكم الأمير الزياني عبد الله الذي حارب القائد العثماني حسن آغا سنة 1543م، ثم تحت حكم السعديين بالمغرب الأقصى خاصة بعد سيطرة ابنه الشريف محمد الحران سنة

¹⁶ أمال يوسف، الممارسات الثقافية في الوسط الحضري: دراسة ميدانية في البناء الاجتماعي لمدينة الغزوات، رسالة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأنثروبولوجية، قسم الثقافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2002م، ص 73.

وانظر أيضا: كريمة عثمان، المعالم الأثرية بمنطقة الغزوات: جرد ودراسة لحالة الحفظ والتسيير، أطروحة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة دكتوراه في حفظ وتسيير التراث الأثري، قسم علم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018م، ص 71.

¹⁷ كريمة عثمان، حصن تاونت بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية، مجلة منبر التراث الأثري، مج 05، ع 01، 2016م، ص 214.

1550م على تلمسان وأحوازها ووسّع نفوذه حتى وادي الشلف¹⁸، بقت الأمور هكذا إلى أن زحف حسن بن خير الدين نحو تلمسان وأخرج السعديين من تلمسان ومناطق نفوذها كولهاصة وملانة وتساله، وتنصيب الحسين بن عبد الله الثاني على عرش تلمسان وكان مواليا للأتراك إلى غاية خلع سنة 1554م وهي سنة سقوط الدولة الزيانية، إذ يشير مارمول كاريخال إلى ولهاصة تحت اسمها خلال تلك الفترة أرشكول - يقصد رشقون- قائلا: "...نظرا للكراهية التي يكنّها السّكان للأتراك...تقدّم جيش الإسبان أتيا من أرشكول دون أن يعترضهم أحد..."¹⁹.

يذكر الراهب لوتيليو معركة وقعت في منطقة سيدي يعقوب سنة 1532م بين سكان المنطقة والجنود الإسبان²⁰، وحسب روني باسي فإن منطقة ولهاصة كانت أحد الأطراف المشاركة في عقد ميثاق الوحدة سنة 1548م تحت لواء الولي الصالح سيدي عبد الرحمان اليعقوبي للجهاد ضد العدو الصليبي الإسباني²¹، هذا ولم تذكر المصادر أي أحداث أخرى متعلقة بالمنطقة في هذه الفترة عدا ما ذكرناه، والظاهر ربما أن هذا التجاهل من المؤرخين والجغرافيين راجع إلى كون سكان منطقة ولهاصة كانوا بين كماشتين من جهتين، الحامية الإسبانية بهنين أو الحكام الزيانيون الموالون للإسبان أحيانا من جهة، وبين الإسبان بوهران والقبائل الموالية لهم كبني عامر وبني شافع من جهة أخرى.

أضحت ولهاصة بعد ذلك جزء من بابلك الغرب، وقد ترك الأتراك بصمتهم في المنطقة، من خلال تشجيعهم للحكام المحليين الموالين لهم بتشديد مختلف العماير، من أهم الأمثلة عن ذلك نجد الزاوية الجازولية بقرية طربان، ووضع القائد العثماني لمنطقة تلمسان محمد بن حمزة لتوابيت خشبية بعدة أضرحة مثل قبنا أولاد سيدي

¹⁸ محمد رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ص244.

¹⁹ كاريخال مارمول، المصدر السابق، ص310.

²⁰ لوتيليو الأب، المعالم العشرون لغرب وهران، تر: سعد ماحي، دار مالك بن نبي، وهران، 1974م، ص16.

²¹ René Basset, op. cit, p66.

عمار بسيدي ورياش وقبة سيدي محمد المدني بالزوايف وقبة سيدي يعقوب، كما أمر بزخرفة الجهة الداخليّة لهذه القبة سنة 1725م، وفي أواخر العهد العثماني تأرجحت عشائر المنطقة بين التبعية للعثمانيين أحيانا وبين الحركات المناوئة للحكم العثماني كالدرقاويين والتيجانين أحيانا أخرى.

خارطة رقم 02: منطقة ولهاصة والقبائل المجاورة لها خلال الفترة العثمانية



المصدر: نقلا من موقع سيدي يعقوب²²

3.1. بادية مهاجرة وجبال تسالة: رغم قلة المصادر التي ذكرت المنطقتين صراحة أو تلميحا خاصة خلال الفترة العثمانية، إلّا أنّ هذا لم يمنع من الإشارة إلى بعض ما أنشأ خلال هذه الفترة بالمنطقتين، سواء من طرف السّكان المحليين أو من طرف حكام بابك الغرب الجزائري، وهذا مردّه بالدّرجة الأولى إلى التوزّع الصوفي والطّرق إلى الهجرات العلمية نحوها من طرف الفقهاء وشيوخ العلم، حيث يذكر الأستاذ حنفي

²² <http://oulhassa.e-monsite.com/pages/articles-arabes/sidi-yacoub>

هلايلي قلعة دار الكمندار ومربط الفرسان بجبل تسالة الحافلين بالطراز الفتي والمعماري العثماني²³.

أفحم الأستاذ ن. بودربالة في دراسته المتعلقة بالعائلات النافذة في الغرب الجزائري خلال العهد العثماني قبائل إقليم تسالة ومهاجرة ضمن آغاليك الزمالة والدواير²⁴، وأهم قبيلة مشكّلة لهم هي عرب بني عامر المستقرّين بجبل تسالة حتى وادي مكرة قرب قبّة ولي الله الصالح سيدي بلعباس البوزيدي، وزاد تواجدهم بهذا الإقليم خلال الفترة العثمانية بعد تحرير وهران الثاني سنة 1792م ومنح أراضيهم التي كان يشغلونها بسهل ملاتة -عين الأربعاء ووادي الصباح وتامزوغة وعين تموشنت وحمام بوحجر- إلى القبائل المخزنية²⁵، ورغم ذلك بقيت قبائل هذه المنطقة تحت سلطة الأتراك وخدمتهم، للإشارة فإنّه هناك الكثير من الفقهاء والأولياء الصالحين الذين ذاع صيتهم بالمنطقة خلال الفترة العثمانية يتقدّمهم الولي الصالح سيدي بلعباس البوزيدي صاحب القبة المشهورة بوادي مكرة، وجدّ الأشراف دفين جبل تسالة سيدي علي بن عيسى -المشهور بسيدي علي بوشنتوف-

2. وهران وشرقها: لقد احتلت المنطقة الشرقية لوهران خلال الفترة العثمانية مكانة أساسية لدى الحكام، كيف لا وهي التي ضمت عددا من الحواضر التي كانت مقرا لمركز حكم الباي.

²³ حنفي هلايلي، مدينة سيدي بلعباس: النشأة والتاريخ، ورقة بحثية مقدّمة خلال الملتقى الدولي حول: المدينة والتنمية المستدامة المنعقد بكلية العلوم السياسية والحقوق، جامعة سيدي بلعباس، 2016م، ص 01.

²⁴ نور الدين بودربالة، العائلات النافذة في بابك الغرب الجزائري 1792-1830م: مقارنة اجتماعية وسياسية، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ وحضارة الحوض الغربي للمتوسط، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر، 2019م، ص 22.

²⁵ Pierre BOYER, *Historique des Béni Amer d'Oranie : des origines au Senatus Consulte*, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°24, 1977g, p55.

1.2. الوطن الرّاشدي: لا شك في أنّ هذه الجهة قد أخذت اهتماما كبيرا خلال الحكم العثماني، وهو ما تأكّده النشاطات الثقافية والعلمية والدينية والمعمارية وحتى السياسية التي كان هذه المجال مسرحا لها.

أ. مازونة: تتوسط مازونة الطريق الدّاخلي بين مستغانم وتنس على جبال الظّهرة، وهي أولى عواصم بابك الغرب منذ تأسيسه سنة 1563م، ومن ذلك الحين أضحت ذات شأن بكافة الجوانب الاقتصادية والتّجارية والصّناعية، وأكثر من ذلك العلمية والثّقافية وهذا ما ترجمته على أرض الواقع نشأة مدرسة مازونة ومسجدها العتيق، والتي أصبحت بفضلها قطبا دينيا وفقهيا عامّا²⁶.

لا يختلف اثنان في المكانة المرموقة التي بلغت مازونة خلال الوجود العثماني بها، إذ أصبحت قطبا حضاريا دينيا وفقهيا يحسب عليه ويرجع إليه، ولقد فصل المؤرخ الجزائري الكبير محمّد الأمين بلغيث فيما لحقته مازونة من مبلغ علم وفقه وحضارة وسط الفوضى التي كانت منتشرة هنا وهناك أواخر الحكم الزيّاني وبداية التواجد العثماني مستشهدا بقول شيخ المؤرخين الجزائريين قائلا: "يقول شيخ المؤرخين الدّكتور أبو القاسم سعد الله ووسط هذه الصّورة المضطربة للحياة السياسية كانت هناك بعض المدن تنمو بعدد سكّانها وتشع بمدارسها ومساجدها وثقافة يتغذى منها المجتمع روحيا وعقليا، ومن هذه المدن نذكر تلمسان وقسنطينة وبجاية ومازونة والجزائر وعنابة وبسكرة، ففي كل مدينة من هذه المدن عائلات وجبهة اشتهرت بالعلم والتّأليف والدّرس أو الزّهد والتّصوف..."²⁷، والأکید أنّ ضمّ مازونة إلى كبرى الحواضر والأقطاب العلمية في الجزائر خلال الفترة العثمانية في جل

²⁶ Mercel Emerit, *Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX siècle*, Annales Economies Sociétés Civilisations, Re 21, N°01, 1966g, P47.

²⁷ محمد الأمين بلغيث، مدرسة مازونة الفقهية وأثارها خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي: قراءة تاريخية، ورقة بحثية مقدّمة خلال الملتقى الوطني الأول حول المذهب المالكي في الجزائر المنعقد بولاية عين الدفلى، الجزائر، 2004م، ص 122. وللاطلاع على الاقتباس من مصدره ارجع إلى: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ج 01، ص 45.

الكتابات المتعلقة بمجالات العلم والمعرفة والعمارة لم يكن اعتبارها أو عفويا، وإنما يرجع طبعاً إلى ما تحقق فيها من مواصفات علمية فقهية وتطورات عمرانية.

ب. معسكر وأحوازاها: معسكر عاصمة الراشدية تمتد شرقاً حتى جبل المناور وغرباً إلى غاية جبل كرسوط وصولاً إلى قلعة بني راشد شمالاً ووادي البنيان جنوباً²⁸، اتخذها بنو زيان أيام يغمراسن قاعدة عسكرية تحت إمرة قبائل الحشم²⁹، وبقيت هكذا إلى دخول الإسبان سنة 1505 م أولاً، ثم 1518 م ثانياً بمساعدة السلطان الزياني أبو حمّو موسى الثالث وتمكينهم من القضاء على القائد العثماني بقلعة بني راشد إسحاق أخو خير الدين³⁰، بقيت معسكر وأحوازاها كغريس وشرفة سيق والكرط وبرج ولد المخفي تجمّعات سكنية صغيرة حتى مطلع القرن 18 م أين نقل الباي مصطفى بوشلاغم مركز البابك من القلعة معسكر القديمة سنة 1701 م³¹، فكثرت بها المؤسسات العلمية والتّعليمية واشتهرت بعدد كبير من العلماء كالقلعي الرّماصي وعبد القادر المشرفي وأبا رأس الناصري³²، وتواصل تطور مدينة معسكر خلال العهد العثماني إلى غاية دخول المستعمر الفرنسي إلى الجزائر، أين اتخذها الأمير عبد القادر عاصمة له بداية من مبايعته سنة 1832 م³³.

²⁸ عبد الحق شرف، العربي المشرفي بن عبد القادر بن علي: حياته وأثاره، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011 م، ص 16.

²⁹ مجموعة قبائل دخلت أراضي سهل غريس، انضموا إلى الدولة الزيانية ضدّ بني توجين في تهرت، انظر: بكار بلهاشي، كتاب مجموع النّسب والحسب والفضائل والتّاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة بن خلدون، 1961 م، ص 33.

³⁰ شرف عبد الحق، المرجع السّابق، ص 20.

³¹ فتيحة خزوي، بابك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563 م و1792 م، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، ع 01، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014 م، ص 103.

³² أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج 01، ص 183.

³³ إبراهيم مجاهدي وأمال يوسف، عناصر الدّعم في العنصر الدينيّة العثمانية بالغرب الجزائري دراسة تنميطية: مساجد مدينة معسكر أنموذجاً، مجلة هيروودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 05، ع 02، 2021 م، ص 182.

ت. قلعة بني راشد: يتوسط موقع القلعة أبرز وأغلب حواضر المغرب الأوسط خلال فترة الوسيطة³⁴، كتلمسان، ووهران، ومستغانم، وتيارت، وتنس، ومدينة الجزائر، وقربه من المسالك التجارية الرئيسية في البلاد التي كانت تربط أفقيا بين الشرق والغرب، وعموديا بين مقاطعات التلّ بسهول وحواضر الساحل، زادت أهميتها في العصر الحديث من خلال التواجد العثماني بالمنطقة.

أشار لها حسن الوزان الأندلسي (933هـ/ 1526م) بأنها إحدى الحاضرتين الرئيسيتين في إقليم بني راشد، الخصب بأراضيه والغني بثرواته، والممتد على نحو خمسين (50) ميلاً من الشرق باتجاه الغرب وما يقرب خمسة وعشرين (25) ميلاً من الشمال باتجاه الجنوب، بعد معسكر التي كان يقيم فيها خليفة السلطان الزياني آنذاك لجمع الإتاوات من بني راشد الميسورين جدا على أنها قلعة حصينة تقع في سفح جبل منيع بين شعاب، حيث تتكون من نحو أربعين بيتا للصّناع والتّجار³⁵ أيّ بعبارة أوضح كانت بمثابة مركز حربي وتجاري جهوي هام آنذاك³⁶.

في حين وصف مارمول كريخال قلعة بني راشد قائلا: "بُنيت على سفح تلّ بين جبلين عاليين، تحيط بها أسوار ذات أبراج على هيئة القلاع الحصينة يسكنها تجار وصنّاع مياسير، فهي التي استولى عليها مارتين دراكوپ لما زحف ضدّ أبي حمّو، وهناك قتل العرب هذا القائد الكورسيكي الذي استسلم لهم"³⁷.

³⁴ الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم، المسالك والممالك، تح: محمد جار الله، دار القلم، القاهرة، 1961م، ص 36.

³⁵ حسن الوزان، المصدر السابق، ج 01، ص 26.

³⁶ العالية بلعباس، قلعة بني راشد: دراسة أثرية، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012م، ص 66.

³⁷ طاف الرحالة الإسباني مارمول كريخال أرجاء بلاد المغرب لمُدّة (22) سنة بغرض التّجسس على أحوال الناس العامة بأمر من الإمبراطور الإسباني شارل الخامس، والذي كتب مؤلّفه في حدود عام (979هـ/ 1571م). يرجع إلى: كارخال مارمول، المصدر السابق، ص 324.

اتّخذها بابا عروج قاعدة عسكرية في طريقه إلى تلمسان بها حامية تحت إمرة أخيه إسحاق³⁸، يعتبر بذلك إسحاق بن يعقوب أول حاكم عثماني على القلعة إلى غاية استشهاد ودفنه بها، ومن الأحياء العثمانية المشهورة بالقلعة حيّا رأس القلعة والكركوري.

2.2. حاضرتا الظهرة (مستغانم وتنس): تقع منطقة الظهرة شمال شرق وهران وهي البوابة الرئيسية الواصلة بين البابك الغربي ودار السلطان بالجهة الساحلية، هذا ما أدى به لأن تتميز بحركة معمارية وعلمية ودينية كبيرة.

أ. مستغانم: لقد أشار الرحالة الألماني هـ ف مالتسان إلى انتعاش مدينة مستغانم بفضل العديد من المهاجرين الأندلسيين وهذا انطلاقا من أواخر القرن 15م بعد إعادة تحصينها وبناء أسوارها على يد حاكمها حميد العبد³⁹، بعد ذلك سيطر الإسبان على مستغانم سنة 1511م بعدما أجبروا أهلها على الاستسلام⁴⁰ قبل استرجاعها من طرف الإخوة بربروس سنة 1517م⁴¹، واتفق الحسن الوزان في القرن 16م ومارمول كربخال في القرن 17م على حصانة مستغانم واحتوائها على أهم المنشآت اللازمة كمسجدها

³⁸ مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تع: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م، ص32.

³⁹ مالتسان هاينريش فون، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ج1، ص255م.

بالمناسبة تم ترجمة كتاب هـ ف مالتسان من طرف الأديب الجزائري أبي العيد دودو في جزئين نُشرا من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، أُخرج الجزء الثاني منه أولا سنة 1979م، بينما تأخر إخراج الجزء الأول إلى سنة 1981م.

⁴⁰ بعد دخول الإسبان لمستغانم سنة 1511م فرضوا على شيوخها معاهدة مهيبة جعلتهم يتحيتنوا الفرصة للتّحالف مع الإخوة بربروس، للاطلاع على هذه المعاهدة يرجع إلى:

A. Jourdan, Documents Inédits sur L'histoire de L'occupation Espagnole en Afrique 1506-1574g, Archives de Simincas con moros legajo 462 d'après : maréchal de Mac-Mahon de capitulation de Mostaganem 26-05-1511g, ALGER, 1875g, p-p 17-19.

⁴¹ صالح صحراوي وميلود ميسوم، العمارة الكولونيالية في الجزائر بين التزعة الاستعمارية والتزعة الفنية الجمالية: مدينة مستغانم نموذجا، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج01، ع01، جامعة سيدي بلعباس، 2021م، ص168.

الجامع والسوق⁴²، وأشار ب. المازاري إلى التّهضة العمرانية التي مسّت مستغانم منذ تولّي الباي بوشلاغم لأمر الإيالة الغربية، إذ أنشأ بها العديد من العمائر أبرزها ضريحه المشهور بالمطمّر وحصن التّرك⁴³.

ب. تنس: كانت تنس تابعة للدولة الزيانية إلى غاية فترة حكم الأمير أبي زيان السعيد يحيى الثابتي ثمّ ابنه مولاي عبد الله أين استقلت ذاتيا في شكل إمارة فيدرالية⁴⁴ بداية من سنة 1506م⁴⁵، وتواصل هذا الأمر حتى دخول الإخوة بربروس إلى جيجل وبجاية وجزائر بني مزغنة إذ امتد تواجدهم إلى تنس⁴⁶، وقابله فرار الحاكم الزياني مولاي عبد الله منها، وما يقال عن تنس ينطبق عن نواحيها كالعطّاف ومجّاجة.

بعد أخذ وردّ في مدينة تنس بين الحاكم الزياني مولاي عبد الله الموالي للإسبان والقوات العثمانية بقيادة عروج بربروس، توخّدت في هذه الأثناء القبائل العربية

⁴² للاطلاع أكثر على وصف الرحالة ح. الوزان والمؤرخ الجاسوس م. كاريغال لمستغانم يرجع إلى: حسن الوزان، المصدر السابق، ج 02، ص 32. و: كاريغال مارمول، المصدر السابق، ج 02، ص 320.

⁴³ بن عودة المازاري، المصدر السابق، ص 276.

⁴⁴ مارمول، المصدر السابق، ص 354.

⁴⁵ محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلاني ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تع: خير الدين سعيدي، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م، ص 60. ويبدو أنّ الأستاذ سعيدي قد تجاوز الإخراج الصحيح للعنوان ابتعادا عن الوقوع في مسألة دمج المفردات الدّارجة ضمنه وإلا فإنّ عنوانه بالضبط: "الزهرة النّيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة".

⁴⁶ استعمل كلّ من الأستاذين: إسماعيل بن نعمان ومحمد موشموش مصطلح "استولوا" مشيرين إلى استيلاء الإخوة بربروس على تنس، ويبدو أنّ هذا المصطلح قريب من الدّلالة على دخول عروج وإخوته ومن معهم إلى تنس عنوة وباستعمال القوّة وهو الأمر المغاير لما قدّمه أغلب الباحثين والمؤرّخين لهذه الفترة. للاطلاع على هذا انظر: إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس: دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية، أطروحة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2007م، ص 51. انظر أيضا: محمد موشموش، مساجد مدينة تنس: دراسة تاريخية أثرية معمارية، مذكرة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، 2009م، ص 73.

والمؤكّد في هذا الأمر أنّ كلاهما قد نقل هذه الفرضية عن الأستاذ عبد القادر حليبي، ومفاد هذا كلّهُ هو الاختلاف بين الباحثين الجزائريين والعرب والأجانب في ماهية دخول العثمانيين للجزائر بين الاستنجد والاحتلال، وعن رأي ع. حليبي فيما يخص مسألة دخول العثمانيين على تنس بصفة خاصة وتواجدتهم بالمغرب الأوسط-الجزائر- بصفة عامّة أرجع إلى: عبد القادر حليبي، مدينة الجزائر: نشأتها وتطوّرها قبل 1830، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م، ص 146.

بالمنطقة تحت قيادة حميد العبد زعيم قبيلة سويد وسيطرت على مدينة تنس وما جاورها، يصف لنا الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان الوضع الذي آلت إليه المنطقة خلال هذه الفترة قائلا: "بعد سقوط دولة بني زيان الذين امتدت رقعة حكمهم من تلمسان وشملت تنس، وقعت هذه المدينة في قبضة القبيلة العربية الصميمة أولاد محال فأُسست بها مملكة صغيرة مستقلة، شملت المدن المجاورة كمازونة ومستغانم ومزگران والأراضي الواقعة بينها، وعاشت هذه الدولة الصغيرة حتى سنة 1517م، وهي السنة التي أخضعها عروج لحكمه الذي كان يبلغ كل شيء"⁴⁷.

قاومت القبائل العربية المتحدة العثمانيين بتحالفها مع أحمد بن القاضي تارة ومع الحفصيين تارة أخرى حتى استرجاع العثمانيين لتنس بداية من سنة 1527م⁴⁸.

3.2. وهران: دخل الإسبان إلى وهران صبيحة الجمعة الثامن عشر من ماي لسنة 1509م⁴⁹، فأصبحت بذلك جزء من السّواحل المحتلة من طرفهم، وكان ذلك بعد مقاومة من السّكان المحليين مقابل تراخي الحكام الزّيانيين عن نجدتها، بعد هذا كلّ لم يكن الحكام العثمانيين ليرضوا أن يبقى قطر واحد من أقطار المسلمين محتلاً من طرف الصّليبيين، وهم الذين جاؤوا إلى الجزائر بهدف مساعدة ودعم سكانها المحليين في تحرير مدنها المستعمرة من طرف الإسبان والجنوئين، فقد توالى المحاولات الجادة لتحرير وهران كأخر قطر جزائري محتل كانت أولها مع رغبة داي الجزائر محمّد بكداش في طرد الإسبان من وهران أخذاً برأي الشاعر ابن قوجيل سنة 1706م، ومعيناً لخليفته أوزن حسن على رأس الجيش سنة 1707م، وبمساهمة كبيرة من باي معسكر مصطفى بوشلاغم وببيغوتيوس ممثل المسيحيين⁵⁰ ليحوّل الباي مصطفى

⁴⁷ مالتسان هاينريش فون، المرجع السابق، ج 01، ص 218م.

⁴⁸ سامح التر عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، 1989م، ص 81.

⁴⁹ رشيد بورويبة، وهران: فن وثقافة، منشورات وزارة الإعلام، الجزائر، 1985م، ص 59.

⁵⁰ نفسه، ص 83.

عاصمة البابك من معسكر القديمة نحو وهران بداية من 1708م وامتد الأمر كذلك إلى عودة الإسبان لاحتلالها بداية من عام 1732م.

ولم يمنع تشييد الإسبان لعدد من الأبراج والحصون الدفاعية والكنائس المسلمين من القيام بهضة عمرانية كبيرة بعد فتحها الأول، فقد قام الباي مصطفى بوشلاغم بتشيد عدد من المنشآت أهمها قصر جميل من سبع وثلاثين غرفة يضاف لهما فناء وبستان فسيح، كما أنشأ المخزن التي تشير إليه الكتابة المحفوظة بمتحف أحمد زبانة، وابتنى حماما بها⁵¹.

لتنطلق المحاولة الثانية والأخيرة لتحرير وهران بداية من زلزال 1790م الذي كان شديد الوقع عليها سنة 1792م، وما يمكن الإشارة إليه هنا هو أنّ السبب الرئيسي لقلّة المنشآت العثمانية بوهـران راجع إلى المدّة القصيرة التي كانت فيه هذه الأخيرة تابعة للأتراك والمحدّد باثنين وستين سنة مقسّمة على فترتين، الفترة الأولى بعد الفتح الأول ودامت 24 سنة من 1708 إلى 1732م، والثانية دامت 38 سنة بداية من الفتح الثاني إلى دخول الفرنسيين.

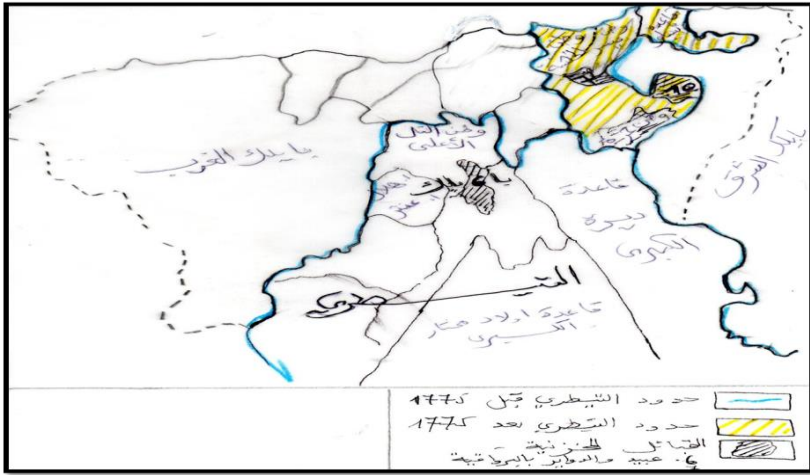
3. مليانة بداية من سنة 1776م: هناك اختلاف كبير بين الباحثين في الشأن العثماني فيما يخص التبعية الإدارية لمدينة مليانة، ففي حين يضعها البعض ضمن الحواضر المكونة لبابك التيطري، يراها البعض الآخر امتدادا جغرافيا لبابك الغرب الجزائري، وربما هذا الاختلاف راجع بالدرجة الأولى لعدم ثبات الحدود الغربية لبابك التيطري نتيجة تغيرات جيوسياسية مستندة إلى عوامل اقتصادية واجتماعية وأحيانا قبلية⁵²، ورغم أنّ الطّرح الأول هو الأقرب إذا ما استندنا إلى حركة جمع الضرائب وتقديم الدّنوش وتعيين القيّاد، إلّا أنّنا لا يمكننا تجاهل تبعية هذه الحاضرة لبابك الغربي في فترة ما، وما يدلّ على قوّة هذا الطّرح هو بناء ضريح ومسجد فاخرين لولي الله دفين

⁵¹ نفسه، ص-ص 94-96.

⁵² الزّهار الشريف، مذكرات نقيب أشرف الجزائر 1168-1226هـ/1759-1830م، تع: المدني أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1974م، ص 47.

مليانة سيدي أحمد بن يوسف من طرف الخلّادي بن ميلود -أحد حفدته- بأمر باي وهران محمد بن عثمان الكبير ومن خلال ماليته⁵³، ويشير الأستاذان م. حاج صادق وعبد القادر. ن صراحة إلى ذلك حين تكلمّا عن تبعية مليانة في الفترة العثمانية أولا لدار السلطان قبل أن تدخل أواخر القرن 18م وأوائل القرن 19م تحت سلطة باي الغرب الجزائري بوهـران⁵⁴، إذ وصلت حدود بابك الغرب إلى غاية عرش بوحلوان الواقع شرق مليانة⁵⁵.

خارطة رقم 03: حدود بابك التيطري أواخر العهد العثماني



المصدر: نقلا عن إيال نور الدين⁵⁶

⁵³ للاستفادة أكثر فيما يخص موضوع سيدي أحمد بن يوسف وضريحه بمدينة مليانة خلال الفترة العثمانية يمكن الرجوع إلى: محمد حاج صادق، مليانة وولّيها سيدي أحمد بن يوسف: دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 109.

⁵⁴ نفسه، ص 31.

⁵⁵ نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصوره إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م، ص 278.

⁵⁶ نور الدين إيال، إقليم التّيطري: 1830-1900م، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر والحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2014م، ص 61.

ويلاحظ من خلال هذه الخارطة انحصار الحدود الغربية لبابك التيطري أواخر العهد العثماني إلى ما دون مدينة مليانة.

والأكيد أنّ أقوى شاهد لهذا الطّرح هو ما ذكره صاحب المرأة حين حدّد مساحة بابك الغرب فقال بأنّها تمتد من مليانة شرقا وتنتهي في وجدة غربا، مضيفا بأنّ معطياته هذه قد استقها من أحد البايات الذّين حكموا بوهراّن ثمّ بقسنطينة⁵⁷.

خارطة رقم 04: أهم المناطق والمدن ببابك الغرب الجزائر.



المصدر: نقلا عن كمال بن صحرّاي⁵⁸

⁵⁷ حمدان خوجة، المرجع السابق، ص 100. وأغلب الظّن أنّ الباي الذي استقى عنه حمدان خوجة هذه المعلومات هو الباي عثمان بن محمد بن عثمان الكبير لاعتبارين اثنين يتّضحان من خلال:

- المعيار الزمني: يتمثّل في كون حمدان خوجة الذي ولد في 1773م وتوفي سنة 1842م قد عايش الباي عثمان بن محمد الكبير الذي كان حيّا سنة 1798م سنة توليته على وهران مكان والده. لمعلومات أكثر حول شخصية حمدان خوجة وحياته ارجع إلى: يسمينة زوّلي، الفكر التنويري العربي في القرن التاسع عشر: حمدان بن عثمان خوجة ورافع رفاعة الطهطاوي نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، مج ب، ع 41، 2014م، ص 31.

- المعيار السياسي: يتمثّل في كون محمّد بن عثمان تولى أمر وهران مكان والده سنة 1798م وهو من قام بنقل مقر حكم البابك من القصر الأحمر إلى القصبة أعلى البلانصة ناحية المراجاجو كما ذكر الزّياتي، قبل تنحيته ووضعه تحت الإقامة الجبرية بالبلدية سنة 1802م كما ذكر المازاري، إلى حين تعيينه بايا مرة أخرى بقسنطينة كما ذكر مسلم بن عبد القادر. للاطلاع على هذه الحوادث انظر:

- الزّياتي، المصدر السابق، ص 270.
 - المازاري، المصدر السابق، ص 299-300.
 - مسلم بن عبد القادر، خاتمة أنيس الغرب والمسافر، دار الميراج للطباعة والنشر، باتنة، 1974م، ص 226.
- ويُعنون أيضا بـ تاريخ بايات وهران المتأخّر أو تاريخ أخربايات وهران.

⁵⁸ كمال بن صحرّاي، أوضاع الريف في بابك الغرب الجزائري وأواخر العهد العثماني، رسالة مقدّمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الدّكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013م، ص 352.

خاتمة

يعتبر بابلك الغرب الجزائري أحد المناطق ذات التأثير العام في الجزائر خلال الفترة العثمانية، إذ يضم عددا كبيرا من الحواضر التي رسمت له شكلا جغرافيا فريدا من نوعه يتصل به الساحل مع رمال الصحراء، ويصل امتداده الشرقي ليلا مس دار السلطان شمالا وبابلك التيطري جنوبا.

تميز هذا البابلك ببقاء المحتل الإسباني به إلى فترات متأخرة من التواجد العثماني به، كما زاد تميزه بمجاورة المغرب الأقصى غربا.

إن من أهم سمات هذا البابلك سياسيا هو تمتع عائلات عديدة بنفوذ كبير سواء بتحالفها وولائها للعثمانيين كالعصمانية وآل بن عثمان، أو بخروجها عن طاعتهم كالشمس وأولاد رياح والدرقاوين.

في الأخير وكتوصية شاملة ننوه إلى أنه وبالرغم من الدراسات الكثيرة حول هذا البابلك وفي كثير من المجالات السياسية والاقتصادية والعمرانية والثقافية، إلا أن تقاطع هذه الدراسات تصادما أو توافقا يجعل هذا الحقل خصباً لمواصلة البحث فيه

قائمة المصادر والمراجع:

A. Jourdan, Documents Inédits sur L'histoire de L'occupation Espagnole en Afrique 1506-1574g, Archives de Simincas con moros legajo 462 d'après : maréchal de Mac-Mahon de capitulation de Mostaganem 26-05-1511g, ALGER, 1875g

Charles de Mauprix, Six mois chez les Traras, le tour du monde, librairie Hachette, Londres, 1889g.

Françis Llabador, Nemours (Djemâa- Ghazaouet) : Monographie illustrée, la Typo-Litho et Cârbonal, ALGER, 1948g.

Joseph Canal, monographie de l'arrondissement de Tlemcen, Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran, N°09, 1888g.

Mercel Emerit, Les tribus privilégiées en Algérie dans la première moitié du XIX siècle, Annales Economies Sociétés Civilisations, Re 21, N°01, 1966g.

Pierre BOYER, Historique des Béni Amer d'Oranie : des origines au Senatus Consulte, Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°24, 1977g.

Prenant Thumeelin, Nédroma 1954, Revue Association Algerian Geographical A
AG, N°04, 1967g

René Basset, Nedroma Et Les Traras, leroux, Paris, 1901g.

إبراهيم مجاهدي وأمال يوسف، عناصر الدّعم في العماثر الدينية العثمانية بالغرب
الجزائري دراسة تنميطية: مساجد مدينة معسكر أنموذجا، مجلة هيروودوت للعلوم
الإنسانية والاجتماعية، مج05، ع02، 2021م.

إسماعيل بن نعمان، مدينة تنس: دراسة تاريخية وأثرية وعمرانية، أطروحة مقدمة لإتمام
متطلّبات الحصول على درجة الدّكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2،
2007م.

الاصطخري أبو إسحاق إبراهيم، المسالك والممالك، تح: محمد جار الله، دار القلم، القاهرة،
1961م.

أمال يوسف، الممارسات التّجافية في الوسط الحضري: دراسة ميدانية في البناء الاجتماعي
لمدينة الغزوات، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الماجستير في
الأنثروبولوجية، قسم التّجافة الشعبية، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم
الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2002م.

حمدان خوجة، المرأة، تق وتغ وتغ: محمد العربي الزبيري، ط02، الشركة الوطنية للنشر
والتوزيع، الجزائر، 1982م.

حنيفي هلايلي، مدينة سيدي بلعباس: النشأة والتاريخ، ورقة بحثية مقدّمة خلال المنتدى
الدولي حول: المدينة والتنمية المستدامة المنعقد بكلية العلوم السياسية والحقوق، جامعة
سيدي بلعباس، 2016م، ص01.

دحماني صبرينة، دمج المباني الأثرية المرممة في الحياة الاجتماعية بمدينة تلمسان، مجلة
أنثروبولوجيا الأديان، مج08، ع11، 2012م.

رشيد بورويبة، وهران: فن وثقافة، منشورات وزارة الإعلام، الجزائر، 1985م.

الزّهار الشريف، مذكرات نقيب أشرف الجزائر 1168-1226هـ/1759-1830م، تع: المدني
أحمد توفيق، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1974م.

سامح التر عزيز، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، دار
النهضة العربية، بيروت، 1989م.

صالح صحراوي وميلود ميسوم، العمارة الكولونيالية في الجزائر بين النزعة الاستعمارية
والنزعة الفنية الجمالية: مدينة مستغانم نموذجا، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية
والاجتماعية، مج01، ع01، جامعة سيدي بلعباس، 2021م.

الطاهر زرهوني، ندرومة بين الماضي والحاضر، مجلة الثقافة، العدد99، الجزائر، 1978م.
العالية بلعباس، قلعة بني راشد: دراسة أثرية، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2012م.
عبد الحق شرف، العربي المشرفي بن عبد القادر بن علي: حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م.
عبد الرحمان بن أحمد التّيجاني الطالب، الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر: نشأتها وتطوّرها قبل 1830، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972م.
عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2010م.
فتيحة خرّوبي، بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوّره فيما بين 1563م و1792م، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، ع01، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2014م.
كريمة عثمانى، المعالم الأثرية بمنطقة الغزوات: جرد ودراسة لحالة الحفظ والتسيير، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة دكتوراه في حفظ وتسيير التّراث الأثري، قسم علم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018م.
كريمة عثمانى، حصن تاونت بمنطقة الغزوات حسب المعطيات التاريخية والشواهد المادية، مجلة منبر التّراث الاثري، مج05، ع01، 2016م،
كمال بن صحراوي، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة الدّكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2013م.
لوتيليو الأب، المعالم العشرون لغرب وهران، تر: سعاد ماحي، دار مالك بن نبي، وهران، 1974م.
مالتسان هاينريش فون، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، تر: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

مجموعة قبائل دخلت أراضي سهل غريس، انضموا إلى الدولة الزيانية ضد بني توجين في تيمرت، انظر: بكار بلهاشي، كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة بن خلدون، 1961م.

محمد الأمين بلغيث، مدرسة مازونة الفقهية وأثارها خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي: قراءة تاريخية، ورقة بحثية مقدمة خلال الملتقى الوطني الأول حول المذهب المالكي في الجزائر المنعقد بولاية عين الدفلى، الجزائر، 2004م، ص122. وللاطلاع على الاقتباس من مصدره ارجع إلى: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، الجزائر، 2007م.

محمد بن عبد الوهاب المكناسي، إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب، تح: محمد بوكبوط، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، 2003م.

¹ محمد بن محمد بن عبد الرحمان الجيلاني ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، تع: خير الدين سعدي، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2017م.

محمد حاج صادق، مليانة ووليتها سيدي أحمد بن يوسف: دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

محمد رايح فيسة، المنشآت المرابطية في مدينة ندرومة: دراسة تاريخية أثرية، رسالة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2005م.

محمد رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.

محمد موشموش، مساجد مدينة تنس: دراسة تاريخية أثرية معمارية، مذكرة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر02، 2009م.

مسلم بن عبد القادر، خاتمة أنيس الغريب والمسافر، دار الميراج للطباعة والنشر، باتنة، 1974م.

منصورية قدور، ندرومة دراسة تاريخية وحضارية بين القرون السابع والعاشر الهجرية 633هـ-1236م/962هـ-1554م، مذكرة مقدمة لإتمام متطلبات الحصول على درجة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، شعبة التاريخ، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012م.

مؤلف مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تع: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م.

نور الدين إيلا، إقليم التّيطري: 1830-1900م، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر والحديث، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2014م.

نور الدين بودريالة، العائلات النافذة في بابلك الغرب الجزائري 1792-1830م: مقارنة اجتماعية وسياسية، أطروحة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على درجة دكتوراه الطور الثالث في تاريخ وحضارة الحوض الغربي للمتوسط، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة مصطفى أسطمبولي، معسكر، 2019م.

نور الدّين عبد القادر، صفحات من تاريخ الجزائر من أقدم عصوره إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر، 2006م.

الواليش فتيحة، الحياة الحضريّة في بابلك الغرب خلال القرن الثامن عشر، رسالة مقدمة لإتمام متطلّبات الحصول على شهادة الماجستير في التّاريخ الحديث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1994م.

يسمينّة زمّولي، الفكر التنويري العربي في القرن التاسع عشر: حمدان بن عثمان خوجة ورافع رفاع الطهطاوي نموذجا، مجلة العلوم الإنسانية، مج ب، ع41، 2014م.